إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة السادسة ـ العدد الرابع والعشرون ـ شتاء ١٣٩٥ش/كانون الأول ٢٠١٦م
صص ٣٧ ـ ٩

صورة أمريكا فى شعر أحمد مطر؛ دراسة صورولوجية

خليل برويني*
سيد حسين حسيني**

الملخص

فى عصر العلاقات والعولمة، تسعى الدول والحكومات، لتقديم صورة إيجابية جذّابة عنها للآخرين بغية تحقيق مآربها السياسية والاقتصادية والثقافية و...، فتصبّ جلّ اهتمامها على تجميل صورتها وإبرازها بشكل مبهر وجذاب. وهذه تعتبر إحدى الوسائل السياسية التى تستخدمها الدول الاستعمارية ومنها الدولة الأمريكية التى تحاول استخدام كلّ الإمكانيات فى سبيل توسيع سيطرتها العالمية خاصة عبر الغزو الثقافى للدول النامية، ويقوم سائر الدول بمجابهة هذه الفعاليات وردود فعل إزاءها. قد تسرّبت هذه القضية السياسية إلى الأدب نتيجة تأثره بالمجتمع وتأثيره فيه وتأدية وظيفته الإجتماعية. انطلاقاً من هذا، يقوم هذا البحث بدراسة صورة أمريكا على ضوء مبادئ الصورولوجيا التى تعنى دراسة صورة الأنا أو الآخر فى شعر "أحمد مطر" الذى عانى مدة غير قليلة الاحتلال الأمريكى لبلده وشاهد ما حلّ به من الأزمات إثر الاعتداء عليه وعلى مستوى أكبر فى منطقة الشرق الأوسط. فالنتائج تدلّ على أن الشاعر يفرق بين الحكومة الأمريكية وشعبها، فيرسم صورة مشوهة للحكومة الأمريكية معلّلا أسبابها: بالتعامل الاستعمارى واحتلال البلاد، وتحقير الشعوب، ونهب ثرواتها، ودعم الصهيونية، والغزو الثقافى، وفرض الحكام العملاء عليهم، والمؤامرة والغدر والخيانة، والتدخل فى شؤون البلاد وما شابهها من الجرائم، بينما نراه فى نظرته إلى الشعب الأمريكى مذبذباً بين السلبية المحقّرة والإيجابية المعظّمة.

الكلمات الدليلية: الصورولوجيا، صورة أمريكا، الشعر العربى المعاصر، أحمد مطر.

---

*. أستاذ فى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس، طهران، إيران
kparvini@yahoo.com
**. طالب دكتوراه فى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس، طهران، إيران
h.hosseini6288@gmail.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٥/٣/٣١ش تاريخ القبول: ١٣٩٥/١٠/٢٩ش

المقدمة

الأحـداث الراهنة فى العالم – بمـا تجرّ فى ذيلها من ويلات ومعاناة بحقّ الشـعوب والناس الأبرياء نتيجة مطامع القوى الاسـتكبارية والتغطرس الاستعمارى الأمريكى – أثارت نوعاً من الكراهية العالمية بالنسـبة لهذه الدولة وانتهت إلى محاربتها من قبل الدول، خاصة ظهور قضية "العولمة" كفكرة عالمية بما فى ضمنها من الأغراض السلطوية متزامنـةً ارتكاب أنـواع الجرائم والجنايات فى غطاء من الخدعـة والزيف الأمريكى والجلجلـة الراهنـة والفوضى والجلبة الـتى أثارتها فى العالم جعلت هـذا البلد موضع اهتمام الشعوب المثقفين منهم والسياسيين والسوسيولوجيين وغيرهم. ونتيجة الاهتمام العالمى بهذه القضية، انعكست هذه الظاهرة فى الأدب والثقافة، فقام الأدباء والباحثون بإبـراز آرائهم واتّخـاذ مواضعهم تجاه هذه القضية بترسـيم الصورة الأمريكية سـلبية أو ما شـابهها وسياسـاتها المخربة أو غيرها كأنها فكرة وليسـت مجرد مكان. فحفّزت الشعراء على التصدى لها ولسياساتها وانعكاسها فى الأدب العربى ومنه الشعر العراقى إثر الاعتداء على هذا البلد فقام الشـعراء بمكافحـة الإمبراطورى الأمريكى والفكرة الأمريكيـة، خاصة "أحمد مطر" الذى يعدّ من كبار الشـعراء المعاصرين فى العالم العربى وينادى بالمكافحة ضدّ الاسـتعمار ويرفض أى نوع من الرضوخ والتنازل أمام الظالمين والمستكبرين.

أسئلة البحث

فقد ارتأينا دراسة هذا الموضوع فى إطار دراسات الصورولوجيا فى شعر أحمد مطر الأديب المناضل والشـاعر الشـعبى المطلع على محن أمته وشعبه، الذى عاصر الظروف الراهنة وعاش فى البلدان العربية والأوروبية، وتابع الأحداث السياسـية والاجتماعية والثقافية وجاء شعره مسرحا للصورة الأمريكية وتصويرا للمجتمع بما يحمل من مشاكل وأزمات، وبما أن الموضوع لم يتناوله باحث فى شعر الشاعر – على حد ما اطلعنا – فقد تصدينا دراستها على أساس المنهج الوصفى التحليلى محاولا الإجابة عن بعض الأسئلة وهى:

كيف تجلت صورة أمريكا فى شعر أحمد مطر؟
وما هى أسباب تجلياتها فى شعر هذا الشاعر؟

خلفية البحث

فيما يرتبط بسابقية البحث فإنّ هناك دراسات سبقته وقام الباحثون بدراسة شعر أحمد مطر من مختلف نواحيها الشكلية والمضمونية التى تدور فى أغلبها حول دراسة السخرية وتجلياتها فى شعره من رؤية الجمالية والمعنى. كما أنّ هناك بحوثاً ودراسات منجازة حول "الصورولوجيا" ودراستها لدى الأدباء والشعراء، من أهمها: «صورة مایاکوفسکی فی شعر عبدالوهاب البیاتی وشیرکوبیکس دراسة صورولوجية فى الأدب المقارن» للدكتور خليل برويني وآخرين فى مجلة "إضاءات نقدية" و«الصورولوجيا فى السرد الروائى عند مهدى عيسى الصقر» لنوافل يونس الحمدانى والدراسات التى مارست صورة أمريكا الثقافية منها كتاب "لماذا يكره العالم أمريكا؟" وكتاب "رحلة إلى جمهورية النظرية" للمؤلف عبدالله محمد الغذامى الذى يعبر عن شغفه لأمريكا وحبه إليها والدراسات المختلفة الأخرى. وأخيرا أقيمت ندوة أمريكا فى الثقافة العربية الحديثة بجامعة قطر جاءت تحت عنوان "صورة أمريكا فى الأدب والفنون العربية" فى أربعة محاور رئيسية، الأول؛ "أمريكا فى الشعر العربى الحديث" والثانى "أمريكا فى الرؤية العربية الحديثة" والثالث "أمريكا فى المسرح العربى" والرابع "أمريكا فى السينما العربية".

دراسة الصورة (الصورولوجيا)

«إن الدراسات التى تتخذ الصورة بأشكالها المتنوعة موضوعاً لها، يطلق عليها؛ الصورولوجيا (Imageology) أو كما تسمى فى بعض الترجمات بـ(الصورية) أو (علم الصورة)، الذى يعنى بدراسة الصور الثقافية التى رسمتها الشعوب عن بعضها.» (الحمدانى، ٢٠١٢م: ٢) تعدّ دراسة الصورة الأدبية أو (الصورلوجيا: imagologie) أحد فروع الأدب المقارن وأهمّها. وبدأ الاهتمام به فى العقود الأخيرة، وقد شهد هذا العلم

ازدهارا ملحوظا بسبب مناخ التعايش السلمى الذى بدأ يظهر لدى أغلب الدول، فقد لوحظ أن الصور التى تقدمها الآداب القومية للشعوب الأخرى تشكل مصدرا أساسيا من مصادر سوء التفاهم بين الأمم والدول والثقافات، سواء كان هذا إيجابيا أم سلبيا، ونعنى بسوء الفهم السلبى ذلک النوع الناجم عن الصورة العدائية التى يقدمها أدب قومى ما عن شعب آخر أو شعوب أخرى. (پروينى، ١٣٩١ش: ٦٠) «هذا النوع من الدراسة (...) له أهمية خاصة فى فرنسا، وهو نوع من الدراسة يعتمد على أدب الرحلات وما فى القصص والمسرحيات من شخوص مجلوبة كما يتناول رواية خاصة لبلد من البلاد من خلال أدب أمة من الأمم، أو رؤية كاتب معين لبلد من البلاد الأجنبية التى عاش فيها. وليس من شک أنّ هذا النوع متوافر فى الآداب المختلفة نتيجة للرحلات المتصلة بين الشعوب، وأحيانا الهجرات التى يقوم بها أدباء فى بلد ما إلى بلاد أخرى ينتقلون إليها ويقيمون بها.» (المصدر نفسه).

صور الشعب نوعان: الأول هو صورة شعب فى أدبه وهذا النوع لا يتعدّى إطاره القومى واللغوى مثل صورة الفرنسيين فى أدبهم وصورة المرأة الألمانية لدى أديب ألمانى وهو النوع الذى تكون فيه الأنا صورة للأنا ذاتها (پروينى، ٢٠١٢م: ٦٠) والثانى هو صورة شعب فى أدب شعب آخر. لعلّ من الضرورى وجود نسبة من الاهتمام المشترک بين شعبين لكى يكوّن أحدهم صورة فى أدبه عن شعب آخر، ويكون الاهتمام هو الدافع إلى رصد صور علاقات الشعوب متأثرة بشعوب أخرى. (المصدر نفسه) «وتأخذ الصورولوجيا نمطا آخر فى الإفصاح أو الكشف عن صورة الأجنبى ورأيه بالآخر، وأعنى به التصوير غير المباشر، أى الصورة التى ينقلها العربى نفسه عن رأى الأجنبى فيه، وبالعكس، وغالبا ما تأتى هذه الصور التى أفرزتها ترسبات التجربة نتيجة التمازج الثقافى أو الاقتصادى أو الاجتماعى، وهى التقاطات قادرة على التمثيل الحى والحقيقى والواقعى، وتسهم فى تحقيق قدر من الخصوصية الكتابية لهذا النمط من السرد، وخلق مستوى محفز للحس القرائى، مما يولد إثارة محركة تعمل على كشف البؤرة الباثة والفاعمة فى لحمة النص.» (الحمدانى، ٢٠١٢م: ١٣) تأخذ الصورولوجيا على عاتقها مهمة رصد وتحليل ما يصوره الأدب فى نتاجاته فى لحظة اتصالية ما. وتعد «اتصالا

مفتوحا أو تنافذا بين الشعوب، بدائيته تقرب من عصرنته، إذ إنّ فى مجتمع ما أو تشكيل صورة عنه يتجلى عن معرفة مضمرة متجمدة أو مخدرة فى مكامن الذهن وتصوراته، وفى عملية تحريكها أو تنشيطها يكاد يصبح الوعى الجمعى بنية ناطقة تخترق منافذ المعرفة والتجربة، تبث تصوراتها المتجددة وتفصيلاتها الحية التى تتفتح عنها الذاكرة بالارتفاع من الخاص إلى العام.» (المصدر نفسه: ٣) إن الصورة الأدبية التى يرسمها أديب ما لشعب أجنبى كثيرا ما تكون مصدر تلك الصورة أسفار أو رحلات قام بها الأديب إلى بلد أجنبى، أو إقامة الأديب فى ذلك البلد فترة طويلة بغرض الدراسة أو العمل أو العلاج، وفى حالات أخرى يقيم الأديب فى البلد الأجنبى لأنه ضاق ذرعا بالعيش فى بلاده. وقد لا تكون المعرفة المباشرة للبلد الأجنبى مصدرا من مصادر الصورة عنه، إذ كثيرا ما ترجع تلك الصورة إلى مطالعات الأديب أو إلى أحاديث سمعها حول البلد الأجنبى. الصورة التى يرسمها الأديب لمجتمع أجنبى كثيراً ما تنبع من مشكلات قومه فى مواجهة الآخر، لذلك تلبى الصورة الأدبية حاجات فنية أو اجتماعية للشعب الأجنبى. تفيد دراسة الصورة الأدبية للآخر فى توسيع أفق الكتابة والتفكير والحلم بصورة مختلفة، إنها إغناء للشخصية الفردية من جهة والتعرف الذاتى من جهة أخرى، هذا على المستوى الفردى، أما على المستوى الجماعى فتفيد فى تصريف الانفعالات المكبوتة تجاه الآخر أو فى التعويض وتسويغ أوهام المجتمع الكامنة فى أعماقه، كذلك تبين الصورة المغلوطة المكونة عن الشعوب، فتسهم فى إزالة سوء التفاهم وتؤسس لعلاقات معافاة من الأوهام والتشويه السلبى والإيجابى، تعطى الآخر حقه كما تعطى الذات. (ماجدة حمود، ٢٠٠٠م: ١٠٨-١١٠) يمكننا لمح معالم عديدة لقراءة الآخر وفهمه، يجدر بنا تأملها وتوضيح أهم الحالات التى يمكننا تلمسها:

- الحالة الأولى (التشويه السلبى) فى حالة العداء للآخر حيث تؤدى العلاقات العدائية بين الشعوب إلى تكوين صورة سلبية عن الآخر (المعادى) على سبيل المثال بدت لنا صورة الأوروبى (المستعمر) فى الأدب العربى مشوهة فى كثير من الأحيان (إنه إنسان مادى، غير أخلاقى...) فى مثل هذه الحالة تكون وظيفة صورة الآخر إثارة مشاعر العداء تجاه الآخر ومشاعر الولاء والتضامن والتوحد تجاه الذات أو الأنا أو

النحن، وبذلک تتحول الصورة إلى وسيلة من وسائل التعبئة النفسية.

– الحالة الثانية (التشـويه الإيجابى) يرى فيهـا الكاتب (أو الجماعة) الواقع الثقافى الأجنـبى متفوقا بصورة مطلقة على الثقافـة الوطنية الأصلية، لذلک نجدها على نقيض الحالـة الأولى تعد نفسـها فى مرتبة أدنى، فيترافق التفضيـل الإيجابى للأجنبى مع عقد نقص تعانى منها الذات تجاه ثقافة الآخر، وأسـلوب حياته، فنجد أنفسنا أمام كاتب أو جماعـة من الكتاب يعانون مـن حالة من الهوس والانبهار بالآخر، وبذلک يقدم الوهم فى صورة الأجنبى على حسـاب الصورة الحقيقية له، مما يمكننا أن ندعو هذا التشـويه بالتشويه الإيجابى.

– الحالة الثالثة (التسـامح) حيث تنطلق دراسـة الصورة من رؤية متوازنة للذات والآخر، لذا نجد التسـامح هو الحالة الوحيدة للتبادل الحقيقى، إذ يطور تقويم الأجنبى وإعادة تفسيره عبر رؤية موضوعية، تنظر للآخر باعتباره ندا، فينتفى الهوس والانبهار (الاستعارة من الآخر) والرهاب (الذى ينفى الآخر ويفترض الموت الرمزى له، وبذلک يعبر التسـامح طريقا صعبا يمر عبر الاعتراف بالآخـر حيث تتعايش الأنا مع الآخر، وتراه ندا غير مختلف. (المصدر نفسه: ١١٨–١١٧)

الصورة الأمريكية فى الأدب العربى

كلمة "الحـد" [أو الثغر] لا تدلّ على معناها الحقيقى عنـد الأمريكيين، لأنّ "الحد" عندهم ليس الخطوط التى تحدّ البلدان، وأنّه يتغيّر إثر الحروب؛ بل هو خط متغيّر يمكن أن يمتدّ إلى المحيط الهادئ. (گارودى، ١٣٩٢ش: ٢٩) وهى منهجها فى تعاملها مع العالم وأصبح من الأسباب الأساسية للكراهية الأمريكية لدى بعض الشعوب. وهذه السياسة الأمريكية الخاطئة ألحقت الأذى بالكثيرين فى العالم العربى وخارجه وما لم تتعدل تلک السياسة فلن تجدى الدبلوماسية العامة ولا غيرها فى تحسين صورة أمريكا ورأى جون زغبى رئيس مؤسسـة الزغبى الدولية لأبحاث الرأى العام أن السبب الأساسى لتدهور صورة أمريكا فى العالم العربى وخارجه يكمن فى توجهها إلى سياسة الربّ التى أصبحت السـمة المميزة لدبلوماسيتها العامة وقد أظهرت اسـوأ ما يعتقد الناس فى الخارج عن

أمريكا وهو أنها تتبع دبلوماسية رعاة البقر وتسعى إلى إقامة الإمبراطورية باستخدام القوة المسلحة. (اليوسفى، ٢٠٠٨م: raya.com)

الموقف العدائى لأمريكا أخذ يزداد شدة لاسيما بعد اندلاع الثورة الإسلامية الإيرانية وقد رسم الإمام الخمينى صورة أمريكا خير ترسيم حيث يميّز بين الشعب الأمريكى والحكومة الأمريكية، ولا يقف مطلقاً فى مواجهة شعبها ولم يحتقر الشعب أبداً. ويرى أنّ الرؤساء الأمريكيين هم الذين يزرعون الضغينة عن طريق الحرب النفسية والتدخّل العسكرىّ. وهم الذين يسقطون الشعب الأمريكى من العيون بما ارتكبوه من جرائم. إنهم أساؤوا حتى إلى أمريكا نفسها وجرحوا كرامتها وإنسانيتها كما فعلوا مع سائر البلدان والشعوب الأخرى. وكل ما يتشبث به الرئيس الأمريكى هو أن يصبح رئيساً للجمهورية وفى طريق وصولها يرتكب كل الجرائم. فرئاسة هؤلاء تعدل الجريمة فى حد ذاتها ومن أجل هذه الرئاسة التى لاتساوى سوى الإجرام لمدة خمسة أعوام فإنه هكذا يشوه سمعة الشعب الأمريكى الذى لاتقصير له فى ذلک ويجعل شعوب العالم تنظر إليه بامتعاض.)مؤسسة الإمام الخمينى الدولية، ١٤٢٣ق: ٢٨-٢٩) وصورة أمريكا فى الخطاب الأدبى او الفنى العربى لا تشذ عن صورتها فى أذهان أغلب المواطنين العرب. حيث أنّ «الصورة التى يبتنيها الشاعر العربى لأمريكا كثيراً ما كانت صورة متخيّلة اضطلعت الوسائط فى تحديد ملامحها بدور مهم، فثمة وسيط جمالى فنى شعر لوركا ومایاكوفسكى مثلا ووسيط أيديولوجى الانتماء إلى اليسار، ووسيط مصيرى يخص الأمة العربية ومحن فلسطين الصراع العربى الاسرائيلى ووسيط ثقافى عام صورة أمريكا فى أذهان المبدعين فى العالم.» (اليوسفى، ٢٠٠٨م: raya.com) فقد ظهرت أمريكا فى الأدب العربى بصورتين متضادتين؛ صورة إيجابية قديمة ظهرت فيها أمريكا بلد الأحلام والتطلعات والنزوع إلى الحرية وتحقيق الذات، وصورة سلبية حديثة ظهرت فيها أمريكا بلداً مشغولاً بالهيمنة على العالم، والسيطرة على مقدراته، وبالنظر إلى الموقف الأمريكى المعلن والداعم مباشرة لإسرائيل، فقد بدأت الصورة السلبية تتشكل منذ نحو منتصف القرن العشرين، وبلغت ذروة السوء باحتلال العراق، وهى صورة تتلون بكل الأطياف السلبية التى تكشف مساراً صاعداً تكتسب فيها صورة أمريكا يوماً بعد يوم مزيداً من

المظاهر السلبية. وتقوم هذه الصورة على المعطيات السياسية التى تقدمها أمريكا، وإذا ما رغب الأمريكيون فى تصحيح تلك الصورة فى الآداب والفنون وكافة مظاهر التعبير الأخر، فلا سبيل إلا بتعديل الأفعال الشنيعة التى يقومون بها.» (المصدر نفسه)

الصورة الأمريكية فى شعر أحمد مطر

«يفرق آكاديمى عربى يقيم فى كندا بين صورة النظام السياسى الأمريكى من جهة وصورة الشعب وفئات المجتمع المدنى فى أمريكا فيرى أن الأولى تتمثل فى شخص الرئيس وهى صورة سلبية جداً وقد تشوهت وازدادت تشوها فى السنوات الأخيرة نتيجة للهمجية والغوغائية التى نهجها الرئيس الأمريكى بوش، أما صورة الشعب الأمريكى فلا شك فى أن فيها الجيد وفيها الخبيث لكن ايجابياتها أكثر فلا أحد يستطيع أن ينكر دور أمريكا فى العلوم والتكنولوجيا الحديثة والمؤسسات التعليمية التى أسهمت فى تطور البشرية وتقدمها.» (اليوسفى، ٢٠٠٨م: raya.com) هذا، وتنقسم صورة أمريكا إلى قسمين فى شعر أحمد مطر، فإنه تارة ينظر إلى الحكام الأمريكيين ويتكلم عنهم ويشرح أعمالهم وتارة أخرى ينظر إلى الشعب الأمريكى ويجعل بين الحكام والشعب فرقاً واختلافاً شاسعاً. فنظرته إلى الحكام نظرة سلبية تشائمية كارهة بجملتها ولكن نظرته إلى الشعب الأمريكى نظرة ملتهبة مذبذبة بين السلبية تارة والإيجابية أخرى. تبييناً للقضية هذه، قسّمنا البحث على ثلاثة أقسام، فأولاً أتينا برؤية الشاعر الشاملة إلى أمريكا كبلد وفى ضمنها الحكومة الأمريكية وشعبها ثمّ درسنا كل قسم منفصلاً عن الآخر.

يقول الشاعر موضحا نظرته تجاه الحكومة الأمريكية: «إنّ موقفى المناهض لأميركا هو موقف مبدئى، لا يحتاج إلى حدث صاعق لكى يُستفز، ولا ينتظر هدنة لكى يستريح. لقد كنت، على الدوام، لا أنظر إلى أميركا إلاّ نظرتى إلى الشيطان – والعكس صحيح – ولا أخاطبها إلاّ بحجارة الرجم، حتى أيّام ارتدت العمامة، وأذّنت فينا للجهاد، إذا كنتم تذكرون! وعلى العكس مما ترى، فإنّ شعرى فى هذا الإتّجاه، أصبح أكثر كثافةً وعنفاً بعد ١١ سبتمبر بالذات، حين نزعت أمريكا حتى براقعها الشفّافة، فأبدت للدنيا وقاحة

من شـأنها أن تستفزّ الحجر الأصم. اطمئنوا .. ليس لمثلى أن يتغير. أ بعد أن فاض إناء العمر؟!» (www.alsakher.com)

إنّ نظرة الشاعر إلى أمريكا فى شعره تأخذ إتجاهاً عدائياً كما نراه فى إحدى قصائده «أمريكا.....دوح الموبقات.....» يقول:

أنـا ضدّ أمريكا إلى أن تنقضى/ هذى الحياة، و يوضَعَ الميزان/ أنا ضدّها حتى وإن رَقّ الحصى/ يوما، وسـال الصّوانُ/ بُغضى لأمريكا لو الأكوانُ/ ضمّت بعضُه لانهارت الأكـوانُ/ من غيرها زرعَ الطغاة بأرضِنا/ وبمن سـواها أَثمَرَ الطغيـانُ/ حَبَكَت فصول المسرحيةِ حبكةً/ يعيا بِها المتمرّسُ الفنانُ/ هذا يكرُّ، وذا يَفرُّ، وذا بهذا/ يستجيرُ، ويبدأ الغليانُ/ حتّى إذا انقشَـعَ الدّخانُ مضى لنا/ جرحٌ، وحلَّ محلَّه سـرطانُ!/ وإذا ذِئـابُ الغَربِ راعـيـة لنا/ وإذا جميعُ رُعـاتِـنا خِرفـان!/ وإذا بِأصـنامِ الأجـانبِ قَـدْ رَبَتْ/ وإذا الكويت وأهلُها القُربانُ! (مطر، ٢٠١١م: ٢٣٧)

الحقيقة أن الشـاعر فى كل قصائـده وفى ديوانه يعبر عن كرهه لهـذه الدولة معتبراً إياهـا مصدر الفضائح والخبائـث كما نرى فى هذه القصيدة، فيسـميها دوح الموبقات. فرؤية الشـاعر تجاه أمريكا رؤية عدائية لاتقبل أىّ تطبيـع ومصالحة إلى يوم القيامة، فيبغضهـا ويتكلم عـن ضديّته إزاء هـذه الحكومة مبرهناً دلائل هـذا العدوان الدائم المتمثلة فى حروبها النيابية واحتلالها لمنطقة الشـرق الأوسط وخاصة فى العراق مسقط رأس الشـاعر وبلد أحلامه ووطنه الذى يتعلق به ويشكل ترابه خلايا الشاعر وعروقه وعظمـه. فأمريـكا هى التى زرعت الطغاة بأرض الشـاعر وقتلت آلافـاً من مواطنيه وأثارت البلوى والاضطراب فى بلاده. ويتكلم الشاعر عن الجنايات الأمريكية ودعمها لإسـرائيل وفرضها كغدة سـرطانية نائبة عنها فى الحصول علـى مصالحها فى البلدان الإسـلامية. وفى قصيدة "جواز" يرى الشاعر نفسه أمام الله عزّ وجلّ ويعترف بارتكاب الكبائـر من الآثام، فهو الذى لم يحفظ السـنة ولم يقـدم لآخرته زاداً وعصى الله تعالى آلاف مـرات وخانه أكثر فأكثر فيتوب إلى الله ويقول أنه مع كلّ هذه الجرائم كان بريئاً من حبّ أمريكا وأعوانها وعملائها وهوايتها مسـتخدماً الأسـلوب القرآنى ومتمنّياً أن يجد له من الشـفعاء فيشـفعوا له سائلاً: هل لى من شـفاعة؟ راجياً وجود الشافعين له

وهكذا يجعل البراءة من حب أمريكا سبباً لدخول الجنّة بفضل الله ومنّه، حيث يقول:

قال: إلهى... إنّنى لَم أحفظ السنّةَ/ ولَم أقدِّم لغدى/ ما يدفعُ المحنةَ/ عصيتُ ألفَ مرّةٍ/ وخُنتُ ألفَ مرةٍ/ وألفَ ألفَ مرةٍ/ وقعتُ فى الفتنةِ/ لكنِّنى.../ ومنک كلُّ الفضلِ والمنّةِ/ كنــتُ بريئاً دائماً/ من حبِّ أمريكا/ ومن حبِّ الــذى يحبُّ أمريكا/ عليها وعلى آبائِه اللعــنةُ/ هل لى من شفاعهٍ؟/ قيل: اُدخُلِ الجنةَ! (مطر، ٢٠١١م: ١٩٦)

«تنشط الولايات المتحدة فى ســعيها لإحكام السيطرة على الشرق الاوسط بتعاون وثيق مع ركائز إقليمية كانت تمثلها إيران الشــاه والمملكة العربية الســعودية فيما كان يسمى بـ(الدعامتين) فضلاً عن حليفتيها تركيا واسرائيل وكانت تحاول ضم العراق الى تلک الركائز من خلال حلف بغداد الذى نشأ فى عام١٩٥٥م وأطيح به فى عام ١٩٥٨م. وهى اليوم تزيد تلک الركائز لتضم دولاً شــرق أوسطية أكثر مصر والأردن، افغانستان والعراق مثلاً فضلاً عن دول الخليج الســت.» (حافظ وهيب، لاتا: ٦٠) فقامت أمريكا ببنــاء القواعد العســكرية فى كل هذه الدول بغية تحقق ســيطرتها على منطقة الشــرق الأوسط بعدما هاجمت عليها عسكرياً وارتكبت فيها ما ارتكبت من الجرائم والمجازر. يشير أحمد مطر فى لافتة "قاعدة" إلى الصنيع الأمريكى هذا، ناقداً غفلة الحكام والولاة فى هذه البلاد وســوء سياســاتهم إزاء إنتهازية الحكام الأمريكيين، مستخدماً الجناس كأحد العناصر الشــعرية والتلاعب بالألفاظ البسيطة بتوظيفه الطباق والمشترک اللفظى والترادف قائلاً:

بدعةٌ عند ولاة الأمر صارت قاعدة،/كلهم يشــتم أمريــكا،/ وأمريكا إذا ما نهضوا للشتم تبقى قاعدة،/ فإذا ما قعدوا، تنهض أمريكا لتبنى قاعدة. (مطر، ٢٠١١م: ٤٠)

عقب عقد معاهدة "ماســتريخت"[١] أصبحت أمريكا مســيطرةً علــى أوروبا ففرضت عليها ما فرضت من مطامعها ومصالحها فتحولت إلى إحدى عوامل السياسة الخارجية الأمريكيــة وأصبحــت أوروبا بعد عقد هــذه المعاهدة أنموذجاً كاملاً لضحية السياســة

١. بموجبهــا اجتمعــت الدول الاثنتا عشــرة الأعضــاء الأوروبية، فى مدينة ماســتريخت الهولندية فى ٧ فبرايــر ١٩٩٢م، ووقعت على ما سُمّى: "إتفاقية ماســتريخت للوحدة الأوروبيــة"، بجوانبها النقدية والاقتصادية والسياسية.

السلطوية الأمريكية فى العالم. (گارودى، ١٣٩٢ش: ٥١)

أحمد مطر كثيراً ما يهاجم الغرب فى قصائده معتبراً أمريكا ممثّلة له بسبب سيطرتها عليه ثقافياً، وإقتصادياً، وسياسياً وإلخ. إذن يمكننا القول بأنّ الشاعر فى تصويره لايفرق بينهما، بل يقدّم أمريكا ممثّلة للغرب وثقافته، ففى قصيدة "فروض المناسبة" يتكلم الشاعر عن الهيمنة الأمريكية وسيطرتها على بلاده بحيث أنّه فى كلّ ما يريد فعله، يطلب رخصة أمريكا وأوروبا ويستأذنهما بكل ما لديه من الامكانيات ساخرا هازئاً فى طلب الإذن من المستعمرين الأمريكيين لإقامة حفلة استقلال بلاده قائلاً:

استأذَنّا مِن أمريكا/ وطَلَبنا رُخصةَ أوروبا/ ورجونا إخوة شاحال/ بُسنا أبواباً مقفلة/ ولَحَسنا صَدا الأقفالِ/ ووَهَبنا الأنفُسَ والمالَ/ ووَقَفنا فى البابِ نياما/ ونَزعنا لهمُ السِّروالَ/ بعدَ جدالٍ طالَ وطال/ وامتدّ ثلاثةَ أجيال/ رُح وتعال/ وقيل، وقال، وحيثُ، وربّ، وإن، ولكن، وبما إن، وأيّة حال/ أعطونا الإذنَ بمثقال/ الحمدُ لَه/ أصبحَ فى إمكانِ الدّولةِ/ أن تعملَ فى الخفيةِ حفلةً لمناسبةِ الاستقلال ! (مطر، ٢٠١١م: ٢٤٦)

فى قصيدة "الغابة" يشرح الشاعر الظروف الصعبة والوضع المؤسف جداً فى بلده وفى منطقة الشرق الأوسط، فيرى العربى المسلم على مفترق الطرق وكل طريق تنتهى إلى الموت وحاصره الموت من جميع الجوانب. فيرى الأرض قد تحوّلت وتبدّلت عن حالتها المألوفة العادية، ويعنى الشاعر من الأرض، منطقة الشرق الأوسط وخاصة البلدان العربية التى أصبحت كعاهرة فاجرة رسمية بغيضة تراودها الخنازير القذرة.

إذا يأتى الشاعر بعد إضفاء كل هذه المواصفات السيئة والخبائث على الأرض، تصفها بأنّها أمريكية، والصفة الأمريكية هى خلاصة كلّ هذه الخبائث وهذه هى أفضح وأشوه وأخبث صورة يمكن أن تطلق على بلد ما فى رأى الشاعر:

نحن على مفترقٍ/ أنوارُه مُظلمةٌ وصُبحه عشيّةٌ/ أمامَنا مماتُنا/ وخلفنا وفاتُنا/ وعن يميننا الرِّدى/ وعن يسارِنا الرِّدى/ وفوقنا منيةٌ وتحتنا منيّةٌ/ قد آن، منذ الآن، أن تنتبهى/ كلُّ الخطى تبدأ حيثُ تنتهى/ والأرضُ لا ربطَ لها/ بالكرةِ الأرضيةِ/ الأرضُ ما عادت سِوى/ عاهرةٍ رسميةٍ/قبيحةٍ /قاسيةٍ/ غنيّةٍ /غبيةٍ /وباختصارٍ بالغٍ:/ الأرضُ أمريكيةٌ... (مطر، ٢٠١١م: ٢٣٣)

وكذلک فی لافتة "ديوان المسائل" ينكر الشاعر وجود أقل شرف لأمريكا ويسميها عاهرة لاتحمل شيئاً من الضمير، ويأخذ على الرؤساء والعملاء تملّقهم لها ومداهنتهم فی إرسال التهانی إليها: إن كان لامريكا عهرٌ/ فلماذا تلقی التبريكا؟/ وإذا كان لديها شرفٌ/ فلماذا تُدعَی أمريكا؟! (مطر، ٢٠١١م: ٢٢٩)

«عندما تعرضت أمريكا فی الحادی عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م لهجمات مرة من قبل تنظيم القاعدة اعتبر مطر أن هذه الهجمات ما هی إلا نتاج سياسة واشنطن تجاه المسلمين.» (مداحش، ٢٠١٢م: algomhoriah.net) فقال فی قصيدته «أعد عينی لکی أبکی علی أرواح أطفالک»:

لئِن نزلت عليک اليوم صاعقةٌ /فقد عاشت جميعُ الأرضِ أعواماً /وما زالت.. وقد تبقی /علی أشفارِ زلزالک/ وكفّک أضرمت فی قلبها ناراً/ ولم تشعر بِها إلا وقد نشبت بأذيالک./ ..../ أتعرف رقمَ سروال .. علی آلاف أميال /وتجهل أرقماً فی طی سِروالک؟ /أری عينيک فی حَول /فذلک لو رمی هذا /تری هذا وتعجب لاستغاثته /ولکن لا تری ماقد جنی ذلک!! /..../ بفضلک أسفر الإرهاب /نساجاً بمنوالک /ومعتاشاً بأموالک / ومحمياً بأبطالک..!! / فهل عجبٌ.. إذا وافاک هذا /اليوم ممتناً /ليرجع بعض أفضالک؟! /..../ إذا دانت لک الآفاق /أو ذلّت لک الأعناق /فاذكر أيها العملاق /أن الأرض ليست درهماً فی جيب بنطالک /ولو ذللت ظهر الفيل تذليلا /فإن بعوضة تكفی .. لإذلالک!! (مطر، ٢٠٠٨م: ١١٣– ١١٦)

يسخر مطر من مخابرات أمريكا المركزية وفی نفس الوقت يستنكر من سياسة الكيل بمكيالين ثم يعرج إلی القول بأنّ الإرهاب ماهو إلا صنيعة أمريكا وهی الّتی جندت من أجله وفی سبيل نمائه الكثير من الأموال وفی نهاية قصيدته سخر مطر من قوة أمريكا الصناعية والعسكرية وحذرها بأنها مهما بلغت من القوة فإن إذلالها سيأتيها من حيث لا تتوقع.» (مداحش، ٢٠١٢م: algomhoriah.net) شبّه الشاعر إغترار الأمريكيين وطيشهم باستكبار النمرود ملک بابل الذی كان صاحب عظمة وحشمة وجلال، يكفر بالله مغترّاً بقدرته جعل نفسه إلهاً وطلب من شعبه بأن يعبدوه، فحاول الرسول إبراهيم

(ع) هدايته إلى طريق الهدى ولكنه أبى واستكبر فأرسل الله عليه وعلى جنوده جيشاً من البعوض فمصّ دمهم وأكل لحمهم وشحمهم فهلكوا جميعا، وأرسل بعوضة دخلت فى أنف النمرود وانتقلت لرأسه فآلمته بحيث يطلب من الناس أن يضربوه بالنعال على رأسه لتخفيف ألمه ولكنه مات من كثرة الضرب بالنعال فمات ذليلاً بعد أن كان عزيزاً. اقتبس الشاعر مطر هذه القصة القرآنية فى نصحه لأمريكا المتغطرسة معتبراً هذه القصة مصدر العبرة لهذه العملاق محذّراً إياها من مغبّة طيشها وغرورها وإنّها رغم قدرته هذه ليست شيئا يذكر إمام قدرة الله.

الحكومة الأمريكية وشعبها

يذهب الشاعر نهج الإمام الخمينى (ره) تجاه أمريكا، فيفرق بين الحكومة الأمريكية وشعبها ويجعل فى قصائده للشعب الأمريكى نصيبه وللحكام الأمريكيين نصيبهم الذى يختلف بالكامل عن الشعب فى رأى الشاعر، مما يدلّ على ذكاوة أحمد مطر ورؤيته السياسية ونظرته الثاقبة واطّلاعه السياسية الوافرة على ما يجرى فى العالم من الأحداث وعرفانه بالنسبة للملل والشعوب والسياسات العالمية المختلفة. إذن على هذا الأساس نجعل بحثنا على محورين أساسيين بعد دراسة الصورة الكلية لأمريكا لدى الشاعر؛ وهما، أولاً؛ الحكومة الأمريكية التى شغلت فضاءاً رحيباً من ديوان الشاعر وجعل لها نصيباً أوفر من روائعه وثانياً؛ الشعب الأمريكى.

أ. الحكومة الأمريكية

وكما أشرنا سابقاً يقف الشاعر من الحكومة الأمريكية وسياستها موقفاً عدائياً معارضاً يريد مكافحتها واستنهاض الشعوب إمام غطرستها مصوراً أفعالها اللّاإنسانية واللّاأخلاقية المتمثّلة فى بعض ما نشير إليها؛ ومنها:

- التصوير الاستعمارى لأمريكا والناهب لثروات الشعوب

«لقد ظلت القوى الاستعمارية على مدى التاريخ تعمل لفرض سيطرتها على

المجتمعات البشرية، وكانت الخصائص السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى يتمتع بها الوطن الإسلامى المترامى الأطراف، (...) باعثا على إثارة أطماع المستكبرين، مما جعلهم يبذلون قصارى جهدهم لفرض نفوذهم على هذه المناطق.» (مؤسسة الإمام الخمينى للثقافة، ١٤٢٣ق: ٥-٦) «إنّ الأهمية الاستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط ومياه الخليج الفارسى الدافئة واكتشاف الموارد النفطية العظيمة وتعدد المصادر الطبيعية والمناجم والثروات الغنية واعتدال الطقس وخصوبة الأراضى (...) وسواها... كانت كلها من العوامل التى دفعت بالقوى العظمى ولاسيما أمريكا إلى الطمع فى هذه المنطقة.» (المصدر نفسه: ٦)

فى قصيدة "يا ليل .. يا عين" يتكلم الشاعر عن الحماية الأمريكية للمستبدّين والدكتاتوريين لتحميرهم وأخذ ثروات الشعوب والأمم الإسلامية ونهب مصادرهم الغنية، كما وأنهم يعطونها كلّ شىء ويسوقون الأرض والعِرض إلى ماخور أمريكا ولا ترضى كما قال الله سبحانه: ﴿لن ترضى عنک اليهود ولا النصارى حتى تتّبع ملّتهم﴾ (البقرة: ١٢٠)، فهى لا ترضى حتى تأخذ الدين الإسلامى والقرآن كتاب الله والكعبة بيت الله الحرام من المسلمين. فذلک الدين الإسلامى وتلک البساطة الإسلامية والصداقة، لم تبق منه شىء وكلها تبدّلت إلى مظاهر أمريكية، كلّ القيم الإسلامية قد أُبيدت، وتبدّل السلام والأمن بالعنف والخشونة والقتل والنهب وتفشى ما تفشى من الرذائل والمذلّات.

آه يا ليلُ .. لقد أطفأتَ عينى/ غيرَ أنى سأغنّى/ وأُسمّى كُلّ شىءٍ باسمهِ كى لا يُؤَوّلْ/ وأُعرّى كُلّ كرشٍ فوق عرشٍ/ من دمائى يَترهّلْ ./- أيُّها الشاعرُ لا تَعْجَلْ/ فإنّ الموتَ أَعجلْ./ لا أُبالى ../ ذلکَ الإنسانُ تحتَ النعلِ إنسانٌ/ وذاکَ الأسودُ المخصِيُّ تحتَ التاجِ مَخصيٌّ/ وذاکَ الأحْوَلُ الدجّالُ أحْوَلْ./ - أيُّها الشاعِرُ .. يكفى/ لا .. دَعوا الصرخةَ تكملْ/ ذلکَ القوّادُ فوقَ العرشِ قوّادٌ/ يَسوقُ الأرضَ والعِرضَ إلى ماخورِ أمريكا/ وإن لم ترضَ أمريكا بهذا العرضِ يَخجَلْ/ فيبيعُ اللهَ والقرآنَ والكعبةَ بالمجّانِ/ كَىْ لا يتبدّلْ (مطر، ٢٠١١م: ٩٧)

- الغزو الثقافى الأمريكى

إنّ مكافحة أمريكا ليست تعاملاً مغرضاً متعصباً مع دولة مستقلة أو شعب مستقل وليست نوعاً من الوطنية المفرطة، بل هى مكافحة ثقافة خاصة تسمّى "الثقافة الأمريكية"، والأمريكى لايطلق على من يولدون فى هذا البلد فحسب، بل الأمريكى يطلق على كلّ من يعيش هذه الثقافة الخاصة التى تكون مفروضة أكثر الأحيان، فرض مصالح طبقة خاصة أو قسم خاص على كلّ البشر. وأساس مكافحة أمريكا التى تعتبر "مدرسة"، يعنى مكافحة هذه الثقافة الخاصة وهذه المدرسة تقابل نظاماً عالمياً مفروضاً مع قوّادها. (غيبى، ١٣٩٣ش: ١٧٦) يتكلم الشاعر فى قصيدة "العشاء الأخير لصاحب الجلالة أبليس الأول" عن الغزو الثقافى الأمريكى وسيطرتها الثقافية على الإنسان العربى وتأثر العرب بهذه الثقافة وقبولها، شاكياً من الحالة العربية وتبدّل الأمّة العربيةِ ألعوبةً فى أيدى الحكام الذين أصبحوا خدماً وخصيان لأمريكا، وقلّب فى تشبيههم بالأسد يخافون من أمريكا الّتى تكون كالفأر، "فهم أسد على (الشعوب) وفى الحروب نعامة"، وهم متدينون بالدين الأمريكى ومنبهرون بثقافته، فى ظاهرهم عرب ونفسيتهم وفكرتهم أمريكية وفى باطنهم أمريكيون:

أُنبيك أنّا أُمّةٌ تباع وتشترى ونصيبها الحرمان/ أُنبيك أنّا أُمّةٌ أسيادها خدمٌ وخيرُ فحولها خصيانُ/ قِطعٌ من الكذبِ الصقيلِ فليس فى تاريخهم روحٌ ولا ريحانُ/ أُسدٌ ولكن يحدثون بثوبهم إن حركت أذنابها الفئرانُ/ متعفّفون وصُبحهم سطوٌ على قوتِ العبادِ وليلهم غلمانُ/ متدينونَ ودينُهم بدنانِهم ومُسهّدون وسُكرهم سكران/ عربٌ ولكن لو نزعت قشورهم لوجدت أنّ اللُّب أمريكانُ (مطر، ٢٠١١م: ٣١١)

يهاجم الشاعر النفوذ الأمريكى فى الشرق الأوسط والبلدان العربية باستخدام الألفاظ والمصطلحات الإنجليزية ويستخدم لافتاته صارخاً فى وجه الغرب وأمريكا هاجماً على النفوذ الأمريكى الغربى الناهب لثروات الشعوب العربية رافضاً السلطة الأمريكية (حيدريان شهرى، ١٣٩٣ش: ١٩) فهو فى حثّ الشعب العربى على النهضة وترغيبهم على المكافحة ضد أمريكا والثقافة الأمريكية يستخدم الألفاظ والمصطلحات الإنجليزية ساخراً المواطن العربى قاصداً صحوته وثورته ضد أمريكا ورفضه الهوية

الأمريكية السائدة على العرب بدل الهوية العربية، فيريد القول بأن سيطرة اللغة الغربية علـى العرب جعلهم خاضعاً للإسـتعمار الأمريكى، خاصة فى قصيدته "يوسـف فى بئر البترول" حيث يقلد مضامين رؤيا العزيز المصرى وتعبيره من النبى يوسف (ع) قائلاً:

وأرى حولَ البيتِ الأسـود بيتا أبيضَ/ يجرى بثيابِ الإحرام/ يرمى الجمرات على صدرى/ ويقبل خشـمَ الأصنامِ/ ويحدّ السيف على نحرى يومَ النّحرِ/ وأرى سبعَ جوارٍ كالأعـلامِ/ غصّ بهنّ ضميرَ البحرِ/ تحمل عرشَ عزيـز المصرى/ بطل العنف الثورى/ وعروش الأنصاب الأخرى والأزلامِ/ وأراها تحت الأقدام/ تشـجبُ ذلّ الاستسلامِ/ وتنادى لجهادٍ عذرى/ MADE IN USA/ من سـابع ظهرٍ/ يمضى بالفتح إلى "النَسر"/ ويخطّ سطورَ الإقدام/ ويُعيدُ الفتحَ الإسلامى..(مطر، ٢٠١١م: ٩٢)

والمثال الآخر فى قصيدة "السـيدة والكلب"، حيث شـبّه الشـاعر الشعوب العربية بأشباح يغذّى من بقايا الأرواح، ويسأل المخاطب من العرب باللّغة الإنجليزية: من هم؟ فـيردّ قائلاً: قومى، ويقول المخاطب بالإنجليزية: لاتهتمّ بهم! حيث يعرض للعرب فقدان هويّته وإذلاله للأجنبى وقبوله بهويته وثقافته ونفسيته:

يا سـيدتى . . هذا ظلمٌ!/ كلبٌ يتمتّع باللّحم/ وشـعوبٌ لاتجد العظمَ!/ كلبٌ يتحمـمّ بالشّـامبو/ وشـعوبٌ تسـبح فى الدّم!/ كلبٌ فى حِضنک يرتاح/ يمتصّ عصيرَ التّفاح/ وينال القُبلة بالفم!/ وشعوبٌ مثل الأشباح/ تقتات بقايا الأرواح/ وتنام باثناء النوم!/ Who are they؟/ قومـى/ Do not mention them/ قومک هم أولى بالذم/ وبحمل الذلة والضيم/ هذا ظلم يا سـيدتى/ أين الظلـم؟؟/ ومن المتلبس بالجرم؟!/ أنا دللت الكلب ولكن... هـــم/ أعطوه مقاليد الحكم! (مطر، ٢٠١١م: ١٤٧)

ونرى ذروة هذا التغريب للعرب وقبوله الهوية الغربية فى قصيدة (موعظة) حيث يقول المفـتى العربى باللغة العربية: "You want to be really happy؟" تريد أن تكون سـعيداً مسرورا؟ صلّ إذن على النبى. (مطر، ٢٠١١م: ١١٤) والشاعر مطر يأخذ موقفاً عدائياً تجاه هذه الثقافة الأمريكية يريد مكافحتها وإعادة الهوية العربية واطلاع العرب على إصالته الخلّص ممانعة من أمركة الشعب العربى.

- الدعم من الصهيونية

المصالح الحياتية الأمريكية توجب على هذه الحكومة فى الشـرق الأوسـط أن تبقى إسـرائيل دولة مستقلة (مرسلى، ٢٠١٢م: ١٢٦) لهذا السبب تقوم بحمايتها.«إن أمريكا هى التى تدعم إسرائيل وأذنابها، وأمريكا هى التى تساعد إسرائيل على تشريد العرب المسـلمين، وأمريكا هى التى تعتبر الإسـلام والقرآن المجيـد ضراراًعليها وتعمل على إبعـاده عن طريقها.» (عبدالمجيد، ١٤٢٣ق: ١٢) يأخذ الشـاعر فى قصيدة "عربى أنا.." على أمريكا دعمه من الصهيونية قائلاً:

شارون يدنس معتقدى ويمرّغُ فى الوحل جبينى
وأمـيركا تدعمه جهراً وتمـدُّ النـار ببنزيـنِ
وأرانـا مثـلُ نعاماتٍ دفنـت أعينها فى الطّينِ
وشـهيدٌ يتلـوهُ شـهيدٌ من يافا لأطراف جنينِ
وبيـوتٌ تهدمُ فى صلفٍ والصّمت المطبقُ يكوينى
يا عرب الخسّـةِ دلونى لزعيـمٍ يأخـذ بيمينى
فيحرّر مسجدنا الأقصى ويعيد الفرحة لسـنينى

(مطر، ٢٠٠٨م: ١٨)

يصور الشـاعر فى هذه القصيدة حالة الإنسان العربى والخوف المسيطر عليه، العربى الـذى قَبِل الهوان ورضـى بالذلة ورضخ أمـام العدوّ الغالب الغاصـب لعِرضه وبلاده وثرواته.

يقوم الشـاعر بمقارنة بين الشـعوب العربية وبين الشـعوب الأخرى، فيرى الناس أحراراً يعيشـون فى حرية من الشرق إلى الغرب ومن الشمال حتى الجنوب بينما يرى بنى جنسـه العرب فى القيود والأغلال الاسـتعمارية وهم معتقدون بالحرية. فشـارون يدنس معتقدات الشاعر ويسلب حريته بارتكاب الجرائم فى بلاده ويمرّغ الجبين العربى فى التراب وفى حال لايخفى هذه الجرائم على أحد، خاصة الاحتلال الصهيونى فى قطاع غزه و بلاد فلسـطين فنشـاهد يومياً آلافاً من القتلى والجرحى من الشـباب والشيوخ والأطفال والنساء الأبرياء فى هذه البلاد نتيجة الاعتداء الصهيونى والحماية الأمريكية

الجاهرة لها. فينتقد الشـــاعر من أمريكا حمايته للرّئيس الإسرائيلى السابق "شارون" فى فعالياته الجرائمية الخبيثة بحق الفلسطينيين واشتعالها النار على الشعوب الأبرياء.

- فرض الحكام العملاء له على الشعوب العربية

من الأسباب التى تزيد كراهية الشاعر لأمريكا، هو فرض الحكام المستبدّين العملاء للغرب وعلى رأســهم أمريكا على الأمم والشــعوب العربية المســلمة فى منطقة الشرق الأوســط. أمريكا حاولت منــذ البداية إلى الإيحاء بعجز العرب والمســلمين عن قيادة أنفســهم بغية الحصول على منصب الوصى لهم، ولاســيما بعد اكتشاف الذهب الأسود فى أراضيهــم، واســتفاد من جهلهم لتحقيــق أهدافه، والنتيجة من كل ذلک هى شــعب غــنى جاهل عدوانى ينبغى تطويعه بتنصيب الحكام العملاء عليهم. فالشــاعر فى قصيدة "البيان الختامى لمؤتمر القمة" ينكر الجنسية العربية للحكام ويصرّح عدم تعلقهم بالعرب والشــعوب العربية، «لَيسَ مِنّا هؤلاءْ/ هم على أكتافنا قاموا عقوداً/ دون عِقدٍ/ وأقاموا عُقَدَ الدنيا بنا دون انتهاء»، فهم العملاء فرضتهم أمريكا على المســلمين العرب، يقودهم كما تهوى:

لَيسَ مِنّا هؤلاءْ./ أنتَ تدرى أنّهُمْ مِثلُکَ عَنّا غُرَباءْ/ زَحَفوا مِن حَيث لا ندرى إلينا/ وَفَشَوا فينا كما يَفشُــو الوَباءْ ./ وَبَقُوا مادُمتَ تَبغى/ وَبَغوا حتّى يمدُّوکَ بأسبابِ البَقاءْ !/ أنتَ أو هُمْ/ مُلتقى قَوْسين فى دائِرةٍ دارتْ عَلَينا :/ فإذا بانَ لِهذا المنتهى/ كانَ بذاک الابتداءْ ./ مُلتقى دَلْوين فى ناعُورةٍ :/ أنتَ وَكيلٌ عن بَنى الغَرْبِ/ وَهُمْ عنکَ لَدَينا وُكلاءْ !/ ×××/ ليسَ منّا هؤلاء/ إنّهم منکَ/ فإنْ وافوکَ للتَّطبيع طَبِّعْ مَعَهُمْ/ واطبَعْ على لَوحِ قَفاهُمْ ما تَشاءْ ./ ليسَ فى الأمرِ جَديدٌ/ نَحنُ نَدرى/ أنَّ ما أَصبحَ تطبيعاً جَليّاً/ كانَ طبْعاً فى الخَفاءْ !/ وَلَكُمْ أن تَسحبوا مِفرشَكُمْ نحو الضُّحى/ كى تُكمِلوا فِعْلَ المساءْ ./ شأنكُمْ هذا/ ولا شأنَ لَنا نَحنُ/ بِما يَحدُثُ فى دُورِ البِغاءْ !/ ×××/ ليسَ مِنَّا هؤلاء ./ ما لَنا شأنٌ بما ابتاعُوُه/ أو باعُوهُ عَنّا../ لَمْ نُبايعْ أَحَداً منهُمْ على البَيعِ/ ولا بِعْنا لَهُمْ حَقّ الشّــراءْ ./ فإذا وافوکَ فاقبِضْ مِنهُمُ اللَّغْوَ/ وَسَلِّمْهُم فَقاقيعَ الهَواءْ ./ وَلَنا صَفْقَتُنا :/ سَوفَ نُقاضِيکَ إزاءَ الرأسِ آلافاً/ وَنَسقيک كؤوسَ اليأسِ أضعافاً/ وَنَسْتَوفى عَن القَطرةِ.. طُوفانَ دِماءْ!

(مطر، ٢٠٠٨م: ٥٤)

فالحكام ليسوا من العرب وليس لهم جنسية عربيةبل هم طفيليون لم يُدعوا إلى عرس وخلطوا أنفسهم فى زحمة الناس، وكما يقول الشاعر: «ليس منّا هؤلاء/ ألف كلّا/ هى دعوى ليس إلّا..»، يخاطب الشاعر العدوّ الأمريكى مفيداً تعلق الحكام المفروضين لها جاعلاً إيّاها مختارةً فى أىّ ما تريده من تطبيع العلاقات والبيع والشراء والمبايعة مع هذه العملاء، مصرّحاً أنّها لا يوجد أى علاقة بينها وبين الشعوب، محذّراً أمريكا من مغبة أفعالها هذه فيخاطبها مهدِّداً: "افعلوا ما شئتم" فـ«سوف تعلمون» ولترونّ كيف نثأر منكم ونقتل آلافاً منكم بدل الواحد الذى قتلتم منا وكيف نجرى طوفان دماءكم.

فى قصيدة "نمور من خشب" قام الشاعر بإحصاء الحكام العرب واحداً تلو آخر وأوجد نوعاً من الحركة والتتابع مع بعضهم البعض بتتابع القتل والهرب (الكرّ والفرّ) والشخصيات، ويقصد من استخدام هذه التقنية ايجاد نوع من التناسق بين الشكل الشعرى ومضمونه وهو سرعة انتهاء دور الحكام العملاء لأمريكا ضاحكاً منهم، ساخراً إيّاهم وهم نمور خشبية ستمحو عن قريب، إثر حركة الشعوب واستنهاضهم وستكون الشعوب لهيباً تحترق هذه النمور الخشبية التى فرضتها أمريكا على الناس.

قُتلَ السادات/ والشاهُ هرب/ قُتلَ الشاهُ/ وسوموزا هرب/ والنميرىُ هرب/ ودوفالييه هرب/ ثمّ ماركوس هرب/ كُلُ مخصىّ لأمريكا/ طريدٌ أو قتيلٌ مُرتقب!/ كُلُهم نَمِرٌ، ولكن من خشب/ يتهاوى/ عندما يسحقُ رأسَ الشعبِ/ فالشعبُ لهب!/ كلّ مَخصىّ لأمريكا/ على قائمةِ الشَطبِ/ فعُقبى للبقايا/ من سلاطينِ العرب!. (مطر، ٢٠١١م: ٧٢)

والشاعر فى بعض الأحايين لايصرح باسم "أمريكا" وتسميتها، بل يشير إليها مجازاً، مستخدماً القرائن بإيراد متعلقاتها ومواصفاتها الخاصة بها التى تدلّنا عليها، كاستخدام اللغة الإنجليزية المتمثلة للثّقافة الأمريكية كما رأينا فى قصيدة "السيدة والكلب"، ومرة يستخدم جزءاً هاماً من الحكومة الأمريكية مثل "البيت الأبيض" حيث يقول فى قصيدته "الأمل الباقى":

حسناً أيها الحكام/ لا تمتعضوا/ حسناً أنتم ضحايانا/ ونحن المجرم المفترض!/ حسناً/ ها قد جلستم فوقنا عشرين عاماً/ وبلعتم نفطنا حتى انفقتم/ وشربتم دمنا

حتى سكرتم/ وأخذتم ثأركم حتى شبعتم/ أفما آن لكم أن تنهضوا؟!/ قد دعونا ربنا أن تمرضوا/ فتشافيتم/ ومن رؤياكم اعتلّ ومات المرض/ ودعونا أن تموتوا/ فإذا بالموت من رؤيتكم ميت/ وحتى قابض الأرواح/ من أرواحكم منقبض/ وهربنا نحو بيت الله منكم/ فإذا في البيت ..بيت أبيض/ وإذا آخر دعوانا ..سلاح أبيض! (مطر، ٢٠١١م: ١٢٢)

فالشاعر في هذه الرائعة يشير إلى حالة الحكومة السعودية والتسرّب الأمريكي فيها وهيمنتها ثقافياً على هذه البلاد، خاصة بلاد "الكعبة" بيت الله. (مختاري، ١٣٩٢ش: ١٣٤)

- المؤامرة والغدر والخيانة الأمريكية

في قصيدة "الحصاد" يجعل الشاعر الحكام العملاء كلاباً تطلقها أمريكا على الشعوب عبر المؤامرة والغدر مستخدمةً غوايتهم وجهلهم بالأمور، فيقوم الناس بالإستنجاد من هذه الكلاب العملاء دون أن يعرفوا أنّ حالهم "كالمستجير من الرمضاء بالنار". وهذه هي الحالة المأساوية للبلدان العربية التي يحكمها العملاء الأمريكيون وما أصدق هذا التعبير على الوضع الراهن في البلدان العربية وفي العقود الأخيرة التي شاهدت الحركات الثورية التي لم تثمر بعد وتحولت من الربيع إلى الشتاء، وتصدق هذا التعبير على الرئيس المصري السابق "حسني مبارك" وبقية الرؤساء العرب الذين يرجّحون المصالح الأمريكية على مصالح بلدانهم وتهاجم أمريكا على هذه البلدان وتدير الحروب النيابية فيها وتدبّرها عن طريق المؤامرة وترتكب أنواع المظالم بحق الشعوب وتنقذ عملائها وتنجيهم وتقتل الناس وتنهب ثروات البلاد.

أَمريكا تُطلِقُ الكَلْبَ علينا/وبها مِن كَلْبِها نَستنجِدُ !/ أَمريكا تُطلِقُ النّارَ لتُنجينا مِنَ الكَلبِ/ فَينجو كَلْبُها..لكنّنا نسْتَشهَدُ /أَمريكا تُبْعِدُ الكَلبَ.. ولكنْ / بدلاً مِنهُ علينا تَقعُدُ/!××/أَمريكا يَدُها عُليا/ لأنّا ما بأيدينا يَدُ./ زَرَعَ الجُبنَ لها فينا عبيدٌ/ ثُمَّ لما نَضِجَ المحصولُ/ جاءتْ تَحصدُ./ فاشهدوا ..أنَّ الذينَ انهَزَموا أو عَرْبَدوا/ والذينَ اعترضوا أو أيّدوا /والذينَ احتَشَدوا/ كُلّهمْ كانَ لهُ دورٌ فأدّاهُ/ وتَمَّ المشْهَدُ !/ قُضيَ الأمرُ ../ رقَدْنا وَعبيدٌ فوقَنا قَدْ رَقَدوا/ وَصَحَوْنا

..فإذا فوقَ العبيدِ السّـيدُ/××/ أَمريكا لو هِيَ استعبَدَتِ النّاسَ جميعاً/ فَسيبقى واحِـدُ/ واحِـدٌ يشـقى بِـهِ المسـتَعبِـدُ/ واحِـدٌ يَفنى ولا يُسـتَعْبَـدُ/ واحِـدٌ يحْمِـلُ وجهـى،/ وأحاسيسـى،/ وَصَـوتى،/ وفـؤادى ../ واسْمُـهُ مِنْ غيرِ شَـكٍّ :أحمَـدُ !/ ××/ أَمريكا ليستِ اللهَ/ ولو قُلْتُـمْ هى اللّـهُ/ فإنّى مُلحِـدُ!. (مطر، ٢٠١١م: ١٥٢)

- التدخل الأمريكى فى شؤون البلاد وتحقير الشعوب

بناء علـى تقرير لجنة المصالح الوطنية للولايات المتحـدة فإن هرم المصالح الوطنية الإمريكيـة يتألف من: ١- المصالح الحياتية ٢- المصـالح ذات أهمية عالية ٣- المصالح المهمة ٤- المصالح الفرعية قليلة الأهمية. وتوجب هذه المصالح على أمريكا فى الشـرق الأوسـط: ١- أن تبقى إسـرائيل دولة مسـتقلة ٢-عدم وجود أى خلل أو محدودية فى عـرض مصادر الطاقة للسـوق العالميـة ٣- أن تبقى جميع الـدول المعادية لأمريكا فى المنطقـة بعيدة عن الحصول على الطاقة النووية. ٤- الحفـاظ على خلو منطقة الخليج الفارسـى من أى قدرة ممانعة ٥- السير بعملية المصالحة فى الشرق الأوسط إلى الأمام ٦- الحفاظ على علاقات جيدة مع الدول العربية الصديقة للغرب والعمل على أن تبقى هـذه الدول موطئ قـدم للدول الغربية ٧- توفر النفط ٨- منع ظهور عدو يسـعى إلى الهيمنة على المنطقة. (مرسـلى، ٢٠١٢م: ١٢٧-١٢٩) إذن للشرق الأوسط أهمية خاصة بالنسـبة للشعب الأمريكى كما أفصح بها الجنرال كالين باول وزير خارجية أمريكا فى طرحه لمشروع الشرق الأوسط الكبير فى ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦م. (المصدر نفسه: ١٢٧)

تحققاً لأهدافها ودفاعاً عن مصالحها، على أمريكا بالتعاون مع بقية الدول وأن تكون جاهزة للقيام بإجراءات متعددة بخصوص بقائها الإستراتيجى فى الشرق الأوسط ومن ذلك:

إنشـاء قواعد عسـكرية متعددة فى السـعودية وقطر والكويـت والبحرين وتدعيم القواعد العسـكرية الموجودة فى المحيط الهندى والبحر المتوسـط، وزيادة عدد القوات والامكانات فى المنطقة مع الحماية الكاملة للكيان الصهيونى، طالبان وإيصالهاللسـلطة فى أفغانسـتان. الحلف العسـكرى المكون من أمريكا إسـرائيل تركية، المبيعات الهائلة

للأسـلحة للدول العربية المحيطة بالخليج الفارسـى، البارجات والإنشاءات البحرية فى المنطقة وجزء من الإجراءات للتواجد والتأثير والتحكم بدول المنطقة والتدخل المباشر فى سياسـاتها الداخيلة.ولذلک فإن الوجود العسكرى للولايات المتحدة فى المنطقة يعد لازماً لترسـيخ الهيمنة الأمريكية على المستوى الدولى. (المصدر نفسه، ٢٠١٢م: ١٢٨-١٢٩) يقول الشـاعر فى تقييم الواقع السياسـى العربى والإسـلامى والعالمى: «الواقع السياسى العربى .. ملعب أمريكى يلعب فيه اثنان وعشرون لاعباً، فريق منهم فى الجهة الشـرقية وفريق فى الجهة الغربية. يختلفون ويتناحـرون على متابعة الكرة، لكنهم جميعاً يتفقون على قاعدة لعب واحدة.والأهداف التى يسـعون إلى تحقيقها، فى هذا المرمى أو ذاک هى كلها فى النتيجة لا تخرج عن نطاق الملعب. أما الواقع السياسى الإسلامى فهو محكمـة تضع القرآن فى قفص الإتهام وتطلب منه أن يقسـم على القرآن أن يقول الحق ولا شىء غير الحق!

أما الواقع السياسى العالمى فهو مسرح يعرض نصاً مؤلفته ومخرجته وممثلته..أمريكا. والجمهـور فى المواقـع الثلاثة مربوط إلى الكراسـى بالقوة.. ممنوع عليـه التدخين أو المشـاركة أو الاحتجاج. ومسـموح له فقط بأن يصفق أو يطبل أو يقول "يحيا العدل"!» (alsakher.com)

فى قصيدة "شـؤون داخلية" يتكلم الشـاعر عن التدخّل الأمريكى فى شؤون البلاد العربية قائلاً:

وطَـنى ثَوبٌ مُرَقّـعْ / كُلّ جُزءٍ فيهِ مصنوعٌ بِمصنَـعْ / وعلى الثّوبِ نُقوشٌ دَمويّـهْ / فرّقـتْ أشكالَها الأهـواءُ / لكِـنْ / وحّـدتْ ما بَينَها نفـسُ الهَـويّـهْ :/ عِفّـةٌ واسِعـةٌ تَشقى / وعِهْـرٌ يَتمتّـعْ !/××/ وَطَنى: عِشرونَ جـزّاراً / يَسوقـونَ إلى المسلَخ / قطعـانَ خِـرافٍ آدميّـهْ ! /وإذا القطعـانُ راحـتْ تتضـرّعْ /لم تَجِـدْ عيناً ترى / أَو أُذُنـا من خارجِ المسـلخ .. تسمَعْ / فطقوسُ الذّبحِ شـأنٌ داخِلـىٌّ / والأصـولُ الدُّوَليّـهْ / تَمنعُ المـسّ بأوضـاعِ البلادِ الدّاخليّـهْ / إنّمـا تسـمَحُ أن تَدخُلَ أمريكا علينا / فى شـؤونِ السّـلمِ والحَـربِ / وفى السّـلْـبِ وفى النّهْـبِ / وفى البيتِ وفى الدّربِ / وفى الكُتْبِ / وفى النّـومِ وفى الأكلِ وفى الشُّـربِ / فإذا ما ظَلّـت التّيجانُ تَلْمَـعْ / وإذا ظلّت جياعُ

لكـوخ / تَسـتجـدى بـــ×××× لِتدفَـعْ / وكِلابُ القَصْـرِ تَبلَـــعْ / وإذا لم يبقَ من كُلِّ أراضينا / سِـــوى متْرٍ مُربـعٌ / يَسَـــعُ الكُرســـيّ والوالـى / فإنّ الوَضْـعَ فى خيرٍ ../ وأمريكـــا سَـخيّـهْ !/××/ فَرّقَتْنـا وحـدَةُ الصّـفِّ / علـى طَبـــلٍ وَدَفِّ / وَتَوحّـدْنا بتقبيلِ الأيـادى الأجنَبيّـهْ ./عَـرَبٌ نحـنُ .. ولكـنْ / أرضُنا عادتْ بِلا أرضٍ / وعُدنـا فوقَها دونَ هويَـهْ ./ فَبحـقِ البيتِ /.. والبيتِ المُقَنّـعْ / وبِجـاهِ التّبَعيّـهْ / أعطِنا يا ربِّ جنسيّـةَ أمريكا / لكى نحيا كِرامَـاً / فى البِـلادِ العَربيَـهْ ! (مطر، ٢٠١١م: ٩١)

يقوم الشاعر أيضا بترسيم الحروب الأمريكية على البلدان ونهب الثروات وجنايات جنـوده فى إغارة البيوت، فينكـر التدخل الأمريكى فى الثقافـة العربية والغزو الثقافى الذى شـنّه على العرب وأخذ هويتهم العربية وأمركتهم. فالشـاعر يدعوا الله سـبحانه وتعالـى يمنحه جنسـية أمريكية لكى يحيى كرامـاً فى بلاده العربية، لأنّ العرب ليسـوا كراماً فى بلادهم. «ينظر المسـتكبرون إلى العالم نظرة اسـتعلائية خاصة ومن خلال ما يستحوذ عليهم من مرض نفسى، هذا المرض الذى جعلهم لايعيرون أية أهمية للشعوب ولايحسبونها فى عداد العالم.» (مؤسسة الإمام الخمينى للثقافة، ١٤٢٣ق: ١١) فى قصيدة "السيدة والكلب" يستنكر الشاعر أحمد مطر هذه النظرة الاستعلائية من قبل الأمريكيين الأجانب إلى الشـعوب العربية ويقوم بمقارنة بـين رفاهية العملاء الأمريكيين وطبقات الشعوب رافضاً هذا الظلم الفاحش بالنسبة لهم، حيث يقول:

يا سـيدتى . . هذا ظلم!/ كلب يتمتع باللحم/ وشـعوب لاتجد العظم!/ كلب يتحمـم بالشـامبو/ وشـعوب تسـبح فى الدم!/ كلب فى حضنك يرتاح/ يمتص عصير التفاح/ وينال القُبلةبالفم!/ وشـعوب مثل الأشباح/ تقتات بقايا الأرواح/ وتنام باثناء النوم!/ Who are they?/ قومى/ Do not mention them/ قومك هم أولى بالذم/ وبحمل الذلة والضيم/ هذا ظلم يا سـيدتى/ أين الظلم؟؟/ ومـن المتلبس بالجرم؟!/ أنا دللت الكلب ولكن ... هـــم/ أعطوه مقاليد الحكم!. (مطر، ٢٠١١م: ١٤٧)

- الحكام الأمريكيون (جورج بوش نموذجاً)

قام جورج بوش باحتلال العراق عسـكرياً عام ٢٠٠٣م ولقد تسـببت هذه الحرب

بأكبر خسائر بشرية فى المدنيين فى تاريخ العراق وتاريخ الجيش الأمريكى منذ عدّة عقود. يقول الشاعر فى قصيدة ساخراً من جورج بوش وسياسته المساندة للكيان الصهيونى:

أهذا الّذى يأكلُ الخبز شربا/ ويحسب ظل الذبابة دُبّا/ ويمشى مكبّا/ كما قد مشى بالقماط الوليد ..؟/ أهذا الذى لم يزل ليس يدرى /بأىّ الولايات يعنى أخوه/ ويعيا بفرز اسمه إذ ينادى/ فيحسب أنّ المنادى ابوه/ ويجعل أمر السماء بأمر الرئيس/ فيرمى الشتاء بجمر الوعيد/ إذالم ينزل عليه الجليد؟ /أهذا الذى لا يساوى قلامة ظفر/ تودى عن الخبز دور البديل/ ومثقال مرّ /لتخفيف ظل الدماء الثقيل/ وقطرة حبر/ تراق على هجوه فى القصيد..؟/ أهذا الغبىّ الصفيق البليد/ إله جديد ؟/ أهذا الهراء .. إله جديد/ يقوم فيُحنى له كل ظهر/ ويمشى فيعنو له كل جيد/ يُؤنِّب هذا, ويلعن هذا/ ويلطم هذا, ويركب هذا/ ويزجى الصواعق فى كل أرض/ ويحشو المنايا بحب الحصيد/ ويفعل فى خلقه مايريد؟/ لهذا الإله / أصعِّر خدِّى/ وأعلن كفرى / وأشهر حقدى/ وأجتازه بالحذاء العتيق/ وأطلب عفو غبار الطريق/ إذا زاد قربا لوجه البعيد / وأرفع رأسى لأعلى سماء/ ولو كان شنقا بحبل الوريد/ وأصرخ ملء الفضاء المديد: / أنا عبد رب غفور رحيم/ عفو كريم/ حكيم مجيد/ أنا لست عبدا لعبد مريد/ أنا واحد من بقايا العباد/ إذا لم يعد فى جميع البلاد/ سوى كومة من عبيد العبيد/ فأنزل بلاءک فوقى وتحتى/ وصُبَّ اللهيب, ورُصَّ الحديد/ أنا لن أحيد/ لأنى بكلّ احتمال سعيد/ مماتى زفاف, ومحياى عيد/ سأرغم أنفک فى كل حال/ فإما عزيز.. وإما شهيد (مطر، ٢٠٠٨م: ١١٧)

«ويتحدث الشاعر مطر عن زعيم النظام العالمى الجديد الذى أطلق إبان هجمات سبتمبر بأن ما يقوم به من حرب ضد ما يسميه الإرهاب إنما هى العدالة المطلقة، وقد تناسى هذا الإله الجديد كما يسميه مطر أن العدالة المطلقة لا تكون إلا لله الواحد. وبعد هذا التمرد والخروج من دين هذا الإله المزيّف يعلن مطر أنه لن يتنازل قيد أنملة عن كرامته وأرضه حتى وإن لاقى فى سبيل ذلک الويلات والصعاب وأصناف البلاء.» (مداحش، ٢٠١٢م: algomhoriah.net) يقوم الشاعر بترسيم الصورة الكاريكاتيرية

الغاية فى السخرية لجورج بوش، واصفاً إياه بالخوف والتفاهة، فهو الذى يخاف من ظل الذباب ويمشى مقمطاً كالطفل. يستخدم الشاعر الأسلوب المبالغة الذى يعدّ من أبرز العناصر الكاريكاتيرية ويصنع نوعاً من المفارقة الساخرة فى تصوير المهجو. فيتكلم عن ظلمه وجرائمه التى لطالما ارتكبها بسبب زهوه وطيشه الذى أذهب بعقله فاصبح جاهلاً أحمق بحيث يجعل نفسه فى مكانة الله تعالى. فيصب عليه كل معانى الحماقة والجهالة والخفة والطيش. فالشاعر الحر يصعّر خدّه ويقطّب الجبين لهذا الفرعون الزاهى ويكفره ويشهر الحقد والكره له ويجتازه بالحذاء فينكره فاخراً بكرهه وإباءه له، فلا يحنو إلّا لله الواحد القهّار. فيتحدّى الشاعر جورج بوش بكلّ قوّته وقدرته ويذكرنا جناياته وجرائمه فى اعتداءه على العراق والشعب العراقى، وعلى ما يبدو أنّ الشاعر فى هذا المقام يمثل الشعب العراقى ويضحّى بنفسه فى سبيل بلده العراق، فإمّا ينتصر ويرغم أنف العدوّ مقتدرا وإمّا يستشهد وينال الفوز العظيم، ففى كلاالحالتين هو سعيد إمّا بشهادته وإمّا بعزّته وفخره.

ومجمل الكلام هو أنّ أمريكا هى الشيطان فى رأى الشاعر حيث يقول فى قصيدة «خلق»: فى الأرضِ/ مخلوقانْ:/ إنسٌ ../ وَأمْريكانْ! (مطر، ٢٠١١م: ١٤٢) كما صرح بهذا الإمام الخمينى (ره) فى كلامه عن أمريكا قال: "أمريكا الشيطان الأكبر"، ونحن نرى أن الله تعالى فى كلامه عن المخلوقات يقسّمهم إلى الإنس والجن فى قوله تعالى ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) إن مطر بسبب تأثره بالقرآن الكريم والاقتباس من مضامينه العالية وآياته الشريفة استلهم هذه الآية جاعلاً أمريكا مكان الجنّ المتمثلة فى الشيطان سادّاً إيّاها مسدّه مطلقاً الخاص على العام.

ب. الشعب الأمريكى

كما قلنا إنّ صورة الشعب الأمريكى فيها الجيّد وفيها الخبيث وإنها صورة ملتهبة، مذبذبة بين السلبية والإيجابية والشاعر مرة ينظر إلى الشعب الأمريكى قدوةً لشعبه العربى خاصة حينما ينتقد من شعبه المسلم ويهجوه على سلبياته ونقصه يجعل الشعب الأمريكى قدوة وأسوة لأمته العربية، وتارة يصفه بالغباء بنقده اللّاذع وسخريته المرّة.

كما نراه فى قصيدة يتكلم عن الشعب العربى على لسان الرئيس الأمريكى أوباما، داعياً الشعب العربى إلى التبعية من الشعب الأمريكى وجعلها قدوة فى التعامل مع الحكام ومسائلهم:

لِجَميعِ الأعرابِ شُعوباً أو حُكّاما:

... أنَا أُمثولَةُ شَعْبٍ يأبى/ أن يَحكُمَهُ أحَدٌ غَصبًا/ ونِظامٍ يَحتَرِمُ الشَّعبا/ وَأنا لَهُما لا غَيرِهما/ سأُقَطِّرُ قَلبى أنغاما/ حَتّى لَو نَزَلَتْ أنغامى/ فَوقَ مَسامِعِكُمْ.. ألغاما/ فامتَثِلوا.. نُظُماً وَشُعوباً/ وَاتَّخِذوا مثلى إلهاما/ أمّا إن شِئتُمْ أن تَبقوا/ فى هذى الدُّنيا أنعاما/ تَتَسَوَّلُ أمْنَاً وَطَعاما/ فَأُصارِحُكُمْ.. أنّى رَجُلٌ/ فى كُلِّ مَحَطّاتِ حَياتى/ لَمْ أُدخِلْ ضِمْنَ حِساباتى/ أن أرعى يوماً أغناما. (مطر، ٢٠١١م:٢٥١)

يريد الشاعر أن يأخذ من كلّ شىء إيجابياته ويترک سلبياته له هو، فيأخذ من الشعب الأمريكى، وعيه وذكاءه ورفضه قبول حكم الغاصبين وإباءه الرضوخ امام المزورّين العملاء فيشيد بها تحريضاً شعبه العربى على الحكام.

فى لافتة "حالات"، «لأجل السخرية والتهكم حاول الشاعر الكشف عن زيف إدعائنا بأننا شعوب إسلامية تهتم لأمر الإسلام فى حياتها وتحاول جاهدة تطبيق تعاليمه السمحة، فعمد إلى إقامة مقابلة بين حالين فى لافتة (حالات)، حالنا نحن الشعوب التى ندعى بأنّنا شعوب إسلامية، وحال الشعوب الأوربية التى غالباً ما ننعتها بأنّها شعوب كافرة، ولغرض صدمنا بكذب دعوانا أجل الشاعر الكشف عن تناقضنا إلى خاتمته التى سبقها بعدّة نقاط لجعلها مهولة صادمة، حتى تهزّنا من الأعماق وتكشف عن زيفنا وعن صدقهم.» (السعيدى، ٢٠٠٨م: ٢٣٤) فقال:

بالتّمادى/ يُصبِحُ اللّصُّ بأوربّا/ مُديراً للنوادى ./ وبأمريكا/ زعيماً للعصاباتِ وأوكارِ الفسادِ./ و بأوطانى التى/ مِنْ شرعها قَطْعُ الأيادى/ يُصبِحُ اللّصُّ/.. رئيساً للبلادِ ! (مطر، ٢٠٠٨م: ٣٤)

يقابل الشاعر زيف العرب المسلمين بصدق الشعوب الكافرة ويعتبر هذا الوصف إيجابياً لدى الأمريكيين بحيث يبرزون صورتهم الصادقة الحقيقة، قصداً للإقتداء بهم فى الصدق ويشيد بقيم عُليا مما هو موجود فى بلاد المشركين. ففى هذه اللافتة قام

الشـاعر بإقامة مقابلة بين الشعوب الإسـلامية والأوروبية الأمريكية قائلاً: «انظر إلى الوباء المسـمّى (أميركا).. إنّه خليط عجيب من الألوان والأجناس والأوطان والأديان والأفكار، لكنّه فی قضاياه الكبرى متماسک ومربوط بحزام المواطنة. ثم انظر إلينا نحن الذين نملک كل شـروط الكتلة، لـترى أن امتيازنا الوحيد هو أننا شـعب بإمكان أی مواطن فيه أن يكفّر جميع المواطنين، ويحجز الجنة التی عرضها السـماوات والأرض..له وحده ، بل بلغ الإعجاز لدينا أنّ الواحد منّا يسـتطيع أن يُكوّن من نفسه "فرقة ناجية"، ثمّ لا يلبث نصفه الأيمن أن يعلن انشـقاقه على نصفه الأيسر!» (www.alsakher.com) إنّ أحمـد مطر يصف أهـل زمانه ومعاصريه بالغباوة والجهل فی زمن تكون سمته البارزة العلم والوعی بالأمور مسـتخدماً الأسـلوب السـاخر وعبر إيجاد التضاد بين الواقعی واللاواقعـی يقوم بطرح مسـائل لا توائم مع العُرف مخاطبـاً مواطنيه رادعاً إيّاهم من توجيه أيّـة إهانة مهما صغرت، إلى أمريكا وهكذا يقوم بتجريح المسـتعمرين ونقدهم وسخريتهم عبر استخدام عنصر المفارقة. (مختاری، ۱۳۹۲ش؛ ۱۳۳) ويحكی فی قصيدته "افتراء" عن إنسـان يتحاور مع نفسـه موجّهاً رسالةً إلى شـعب أمريكا وأنه لا داعی لوصفه غبياً لأنه الغباء نفسـه. شـعب أمريكا غبی/ كف عن هذا الهُراء/لا تدع للحقد/ أن يبلغ حد الافتراء/ قل بهذا الشعب ما شئت/ ولكن لا تقل عنه غبيا/ أيقولون غبياً/ للغباء؟! (مطر، ۲۰۱۱م: ۲۳۱).

النتيجة

من خلال البحث هذا يمكننا الوصول إلى بعض النتائج منها:

– إن أمريكا فرضت نفسـها على الثقافة الغربية وأخذت زمامها وأصبحت رائدها التی تقودها وتحاول أيضاً الأخذ بالقيادة فی منطقة الشرق الأوسط التی ترتكب لأجلها أشنع الجرائم والجنايات، القضية التی أثارت نوعاً من الإنزجار والكراهية لأمريكا أو باصطلاح آخر أمريكافوبيا – لو صح هذا التعبير – فی هذه المنطقة.

– إن أحمد مطر فی ترسيم الصورة الأمريكية ذهب نهج قائد الثورة الإسلامية الإمام الخمينی (ره) فی تقسـيم نظرته إلى الحكومة الأمريكية والشـعب الأمريكی حيث يتخذ

موقفـاً عدائيـاً بحتاً تجاه الحكومة الأمريكية بحيث لايقبل أىّ تطبيع معها، أمّا بالنسـبة للشـعب الأمريكى فنرى الشـاعر مذبذباً فى رؤيته ويكون تصويره ملتهب بين السلبية والإيجابية كما نشاهد النظرة نفسها فى الأدب العربى عامة.

– كلّما يتكلّم الشاعر عن أمريكا من موضع (الآخر)، يقوم بمقارنة بينها وبين البلاد العربية فى موضع (أنا أو نحن أو العرب)، فيقابلهما مرّة بوصف الآخر الظالم مقابل (نحن) المظلوم، والآخر المسـتعمِر مقابل العرب المسـتعمَر المتخلّف المنخـدع المنبهر بالآخر، راجياً اسـتيقاظ العرب لاسـتعادة كرامته الإنسـانية عبر التمرّد على تغطرس الآخر وكسر هيمنته وجبروته.

– إنّ الصورة الأمريكية فى شـعر"مطر" تعتبر من (التشـويه السلبى) الذى يكون فى حالة العداء ولكن عدائيته هذه لم تؤدّ إلى تكوين الصورة السلبية للآخر بل حاول أحمد مطر أن ينقد أمريكا وجرائمها الّتى تكوّن هذه الصورة الواقعية السـلبية، إذن بدت لنا الصورة الأمريكية (المسـتعمرة) فى الأدب العربى وفى شـعر أحمد مطر مشوهة إلّا قليلا وهذا التشويه يعود إلى ماهيتها الواقعية، كما أنّ الشاعر يقصد إثارة مشاعر العداء تجاه الآخر ومشاعر الولاء والتضامن والتوحد تجاه الذات أو الأنا أو النحن، وبذلک تتحول الصورة إلى وسيلة من وسائل التعبئة النفسية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
پروينى، خليل. (١٣٩١ش). الأدب المقارن (دراسات نظرية وتطبيقية). تهران: سمت.
پروينى، خليل وهادى نظرى منظم وكاوه خضرى. (٢٠١٢م). «صورة مایاكوفسـكى فى شـعر عبدالوهاب البياتى وشـيركوبيک هس دراسة صورولوجية فى الأدب المقارن». مجلة إضاءات نقدية فى الأدبين العربى والفارسى. السنة الثانية. العدد الثامن. صص ٧٥–٥٥.
حافظ وهيب، حسـين. (لاتا). اسـتراتيجية الإدارة الأمريكية الجديدة إزاء الشرق الأوسط. مركز دراسات دولية. العدد السادس والأربعون. بغداد.
الحمدانى، نوافل يونس. (٢٠١٢م). الصورولوجيا فى السرد الروائى عند مهدى عيسى الصقر. مجلة ديالى. العدد الخامس والخمسون.
حيدريان شهرى، احمدرضا. (١٣٩٣ش). پژوهشى در انديشه هاى سياسى اشعار احمد مطر.

فصلنامه لسان مبين. سال پنجم. شماره پانزدهم. صص ۲۳-۱.
السعيدی، عبدالكريم. (۲۰۰۸م). شعرية السرد فی شعر أحمد مطر. لندن: دارالسياب.
غيبی، عبدالأحد وليلا جباری. (۱۳۹۳ش). يحيی سماوی مظهر آمريكايی ستيزی در شعر معاصر عراق. فصلنامه نقد ادب معاصر عربی. سال چهارم.
فؤاد، محمد. (لاتا). الغضب والتمرّد فی شعر أحمد مطر. لامک: لانا.
گارودی، روژه. (۱۳۹۲ش). آمريكاستيزی چرا؟. ترجمه جعفر ياره. چاپ نهم. تهران: انتشارات كانون انديشه جوان.
مؤسسة الإمام الخمينی الدولية للثقافة والفن والدراسات. (۱٤۲۳ق). أمريكا فی فكر الإمام الخمينی. ترجمة: معروف عبدالمجيد. انتشارات سطر. الطبعة الأولی.
ماجدة، حمود. (۲۰۰۰م). مقاربات تطبيقية فی الأدب المقارن دراسة. من منشورات اتحاد الكتاب العرب.
مختاری، قاسم و جواد سپهری نيا و سميرا جوكار. (۱۳۹۲ش). طنز سياسی – اجتماعی در انديشه های عبيد زاكانی و احمد مطر. كاوشنامة ادبيّات تطبيقی (مطالعات تطبيقی عربی – فارسی(۲۳۱- . سال سوّم. شماره ۱۲. صص ۱٤٦-۱۲۱.
مرسلی، فاطمه. (۲۰۱۲م). تأثير الصحوة الإسلامية علی أمن ومصالح أمريكا فی الشرق الأوسط وشمال أفريقا. «المقالات المختارة لمؤتمر الشباب والصحوة الإسلامية العالمی». (الجزء الثانی). صص ۱٦۱-۱۲۱.
مطر، أحمد. (۲۰۱۱م). المجموعة الشعرية. الطبعة الأولی. بيروت: دار الحرية.
مطر، أحمد. (۲۰۰۸م). مختارات. الطبعة الأولی. لامک: لانا.

المصادر الإنترنتية

عادل مداحش، أحمد مطر .. شاعر التمرد والحرية؛ الخميس ۰٤ أكتوبر-تشرين الأول ۲۰۱۲م.
http://www .algomhoriah.net/newsweekarticle.php?sid=162486
اليوسفی، محمد لطفی. أمريكا فی الأدب العربی.. مستوطنات بيضاء. «فی ندوة آمريكا فی الأدب والفنون العربية... صحيفة الراية. الأحد ۲۰۰۸/۱۲/۲۸م/.
http://www.raya.com/newspages/6bf03379-328e-425e-8650-bbaff5bf5943
حسن، عبدالرحيم. الشاعر أحمد مطر لـ"العالم": قصيدتی هی "لافتة" تحمل صوت التمرد. (۲۰۰٦-۱۱-۰۹) http://www.alsakher.com/showthread.php?t=108783
لقاء موقع الساخر مع أحمد مطر، (۲۰-۱۱-۲۰۱۲).
http://www.alsakher.com /showthread.php?t=164650.